



ثغرة في مستعمرات القدس الشرقية

يوسف ظاهر

مرة في المستعمرة سنة ٢٠٠٠ بدأ السكان اليهود يناقشون الامر ووصلت حد اصدار المناشير في الحي الذي يسكنه ، فبعضهم من اليسار الاسرائيلي لم يرى بان في ذلك مشكلة بينما المتطرفين أخذوا يربعون السكان من ما هو أت.... وبعد عشر سنوات أتى ما أتى... وأصبح الحي ذاته يسكنه ٣٠ عائلة عربية.

وعند مراجعة بعد الاحصائيات لدراسة حجم هذه الظاهرة يتضح بأن عدد سكان مستوطنات القدس الشرقية يقارب مئتي ألف نسمة وعند تقدير عدد السكان الفلسطينيين اليوم فيها والبالغ تقريبا ٧٠٠٠ نسمة نرى بأن ما نسبته ٣-٣,٥٪ نسبة لا بأس بها لسببين : الاول لأن العدد في تزايد ملحوظ، والثاني لأنه عند مقارنة عدد السكان الفلسطينيين في المستوطنات الملاصقة لمناطق السكن مثل " التلة الفرنسية وبيسغات زئيف " واستثنينا المستعمرات الابعد والاكبر حجما مثل " ماعاليه ادوميم " نرى ان النسبة تصل الى اكثر من ٦ أو ٧٪.

نعم انها ظاهرة ولكنها نهج ايضا الا انه لا يوجد دليل على ان هذا النهج منسق أو منظم من قبل طرف أو اطراف.

أسئلة كثيرة تنتظر الاجابة : هل نستمر ؟ هل سنصل الى نتيجة تحرير الارض ؟ هل يعتبر هذا النهج مخالفا لثوابتنا الوطنية ؟ ما هي البدائل ؟ ما تأثير ذلك على مفاوضات الحل النهائي ؟....

أم هذا ما تبقى لنا أن نفعله لنحيا في مدينتنا....

الداخل يعمل في القدس الشرقية وقد جاء اليها من مدينته قبل أكثر من عشر سنوات.... عند سؤالي عن الدافع وراء أخذ هذه الخطوة وخبرته الشخصية، قال لي "عندي قناعة ... طالما اسرائيل تحيط بنا من كل جهة، ان كان في القدس أو في الناصرة فيجب اختراق هذا الخناق وسياسة التضييق عبرالاختراق من الخارج" ويقصد في ذلك أنه بما أن اسرائيل وضعتنا بحيز بناء ضيق لا يمكننا التوسع به وتلاحقنا بهدم المنازل الغير مرخصة ولم تبقى على اراض ومساحات للبناء والتوسع، يجب اختراق حصارها الاستيطاني وذلك بان ندخل ونسكن القدس من الخارج الى الداخل... أي أن نسكن ما هو مشيد من قبلهم ونأخذ الحيز بدلا عن الاسرائيليين المستوطنين. وعلى سبيل المثال نرى بان مستعمرة ما تسمى ب" نتصرات عيليت " المحاذية لمدينة الناصرة يسكنها اليوم ما يقارب ال ٣٠٪ عرب وقد يبدو للزائر بان احياء من هذه المستعمرات يغلب عليها الطابع العربي.

أحد رؤساء الكنائس في القدس يوما قال: " هم يصادرون الارض وبينون المبان ونحن علينا أن نشترى هذه الشقق... ما لا نستطيع بناءه من جراء سياساتهم سوف نشترىه بعد أن يكونوا هم شيدوه " وأكمل يقول: " وقليلًا قليلًا عندما يروننا نسكن بينهم سوف يهجررون المكان... ". قبل سنة تقريبا وردني خبر شراء احد كنائس القدس لصفقة تحتوي على مشروع بناء ٣٥٠ شقة في احدى المستعمرات الواقعة في اراض القدس الشرقية... ولم يؤكد الخبر رسميا من قبل الكنيسة ولكن مصادر موثوقة أكدت أن هذه العملية قد تمت فعلا.

المحامي وعند حديثه عن خبرته قال بانه عندما سكن أول

بعض الأسئلة المشروعة

ريما كنانة نزال

الى المفاوضات. والا توحى لنا المفاوضات الجارية بين الأطراف الاسرائيلية للتوافق حول الحل السياسي المفترض معنا بشيء.. ان لجنة التحقيق التي اعلن عن تشكيلها الأخ الرئيس خطوة مرحب بها، لكن عملها لا يمكن ان يعطي إلا من خلال تشكيل متوازن للجنة، ومن خلال التوصل الى نتائج تعلن خلال فترة زمنية محدودة. ولا بد للجنة أن تمد الأمور على استقامتها لاستخلاص دروس وعبر الحادثة، بالإجابة على الأسئلة المطروحة، وأن تطرح المستلزمات والخطوات الكفيلة بمنع تكرار ما حدث، وكيفية معالجة النهج الذي يستهدف التطاول على الحريات العامة المكفولة في النظام الأساسي، وبما يلبي وضع الخطة والبرنامج الذي يأخذ بالاعتبار محددات الحفاظ على النسيج الاجتماعي الفلسطيني وتماسكه، ويلحظ سبل الحفاظ على السلم الأهلي، ويكفل زرع الوعي حول احترام حرية الرأي والتعبير.

وفي ذات الوقت، على القوى المعارضة أن تواصل تحركاتها وأن توسعها.. دون التغاضي عن أهمية أن تعطي المصادقية لتحركاتها وموقفها السياسي. مطلوب من قوى المعارضة أن تقدم البديل النضالي، في الساحة الرئيسية للصراع مع الاحتلال، فالتقوى المعارضة دون استثناء فعلها ضعيف على صعيد مقاومة الاحتلال، لذلك ينبغي أن تضع في رأس اهتمامها المقاومة الشعبية واستنهاضها، وان تبقى على صلة ومعبرة عن نبض الشارع وتطلعاته. فالتحركات الشعبية في مناطق الجدار والاستيطان في حدودها الدنيا، ولا أعني أحداً من المسؤولية عن ضعفها، حيث لم تضع كل من قوى الاعتدال والمعارضة في اهتماماتها تنظيم المقاومة الشعبية واستنهاضها. حيث معركة المفاوضات أو معارضتها لا تخاض في قاعة المفاوضات فقط، بل تخاض في الميدان، حيث يقام الجدار وتبنى المستوطنات..

عن كلمة السر التي جعلت تلك العناصر تتجرأ على تخوين المناضلات والمناضلين، سأستأسل عن آخر ايعاز قبل انطلاقهم لساحة الكراهية والحقد. سأستفسر عن مدى معرفتهم بدلالات مصطلحات كالقانون والحقوق والمعارضة والمشاركة والحريات العامة وحرية الرأي والتعبير. سأستفسر أكثر عن الجهة التي نظمت الحملة، حيث لا يمكن لخطوة منظمة من النوع الذي شوهدت في "نادي البروتستانت" ان تكون عفوية، وأن لا تكون مرتبطة بجهة معينة.. فمن هي تلك الجهة..!

وتنبش الأسئلة المطروحة كيفية ومقدار تعلمنا من تجاربنا ومن كوارثنا التي نصنعها بيدنا، وقديماً قيل إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، ويبدو بأننا سنلدغ ونلدغ مرات ومرات قبل أن نتعلم..

ما ارتكب في قاعة "نادي البروتستانت" خطير ومخيف، وهو مثقل على نحو خاطئ بدروس غزرة، فالتعبئة والتحريض ضد الآخر المختلف سياسياً، قد أدى قبل ثلاث سنوات الى الوقوع في الوحل والحرام، والحقن الممنهج قد أدى هناك إلى استسهال الضغط على الزناد بوجه القريب والأخ والجار. وما جرى في رام الله يطرح الأسئلة الصعبة حول طبيعة المخاطر التي تحيط بالنظام السياسي الفلسطيني، وحول الجنوح المتدرج نحو الأساليب البوليسية والقمعية، وعن انخفاض سقف الحريات العامة.. وبما يوصل الى ان من حقنا ان نقلق على مستقبل الديمقراطية الفلسطينية المهدة بالضياغ. والمحملة بتجربة غزرة المشؤومة. ان القوى التي نظمت التحرك المعارض للمفاوضات المباشرة قبل تحديد مرجعيتها وأهدافها هي قوى راشدة ومسؤولة، وتحركها منضبط ومرشد لأقصى الدرجات. والتحريك يقوى السلطة ولا يضعفها او يسيء اليها. ومن حق هذه القوى أن تستهدف الضغط على السلطة للعودة عن قرارها بالذهاب الى المفاوضات المباشرة دون ضمانات، لأن السلطة قبل غيرها تعرف بأن مسلسل الضغوط لن يتوقف عند حدود الذهاب

في الآونة الاخيرة لوحظ توافد المقدسيين، وأيضا الفلسطينيين الذين ينتمون لمناطق الداخل بما يسمى بال ٤٨ الى شراء شقق في المستعمرات التي تبنيها اسرائيل على اراضي القدس الشرقية والتي تحيط بها بقصد "استعمار" اليهود والاسرائيليين فيها. هل هذه استراتيجية جديدة ؟ هل هي ممنهجة ؟ من وراءها ؟... وكيف تسير الامور في هذا المجال ؟؟

في دراسة سريعة لهذه الظاهرة تبين أن هناك ما يقارب الفين شقة سكنية يمتلكها فلسطينيون وتتركز بعض هذه التجمعات في مستعمرة التلة الفرنسية و مستعمرة ما تسمى ب" بسغات ذئيف " الملاصقتين للأحياء الفلسطينية في شمال المدينة. معظم هؤلاء السكان من فلسطينيي الداخل حملة الجنسية الاسرائيلية والبعض الاخر من سكان القدس حملة الإقامة في القدس " الهويات الزرقاء ".

آخر الاحصائيات تدل على أن هناك ١٤ مستوطنة مقامة على الجزء المضموم من القدس أي ما يسمى حدود القدس الشرقية، وتنتشر هذه المستوطنات في لواء القدس على شكل تجمعات استيطانية مكثفة تتخذ الشكل الدائري حول المدينة وضواحيها ممثلة بمراكز استيطانية كبيرة المساحة. ويشار أيضاً إلى أن حدود البلدية تم بشكل رسمي توسيعها ولكنه عمليا تم الاستيلاء على ٧٢ كم مربعا بقرارات مختلفة وبتقييد التمديد العمراني في القدس وتحويل المناطق إلى مستوطنات يهودية كما حدث مع جبل أبو غنيم.

في حديث مع احد سكان هذه المستوطنات والذي اعتبره البعض من السابقين لهذا النهج وهو محام من فلسطيني

أسئلة المصير الفلسطيني مفتوحة على فضاء بلا حدود. والأسئلة كثيرة ومعقدة، ولا تقتصر على الأسئلة ذات الطابع السياسي، بل تبدو أسئلة المشكلات ذات الطبيعة الديمقراطية والاجتماعية والاقتصادية تنصدر القائمة. لا ينقصنا التشخيص والتحليل الصائب، لكن ينقصنا أن نخرج من تخوم التنظير، ونفتقد الى الإرادة الكافية للعمل والتطبيق.

وتستمد الأسئلة مشروعيتها من واقع مشدود على وتر الاحتلال واجراءاته اليومية، ومن ارتفاع منسوب الفقر والجوع والوجع، ومن واقع الموارد المحدودة، من مستقبل يحيطه الغموض والضباب. وتستمد الأسئلة مشروعيتها من مبدأ المساءلة والمحاسبة بالقدر الذي تمنحه حقوق المواطنة دون زيادة أو نقصان. الأسئلة كثيرة وصعبة والإجابات عابرة وسطحية.

السؤال الذي بدأ يشغل الرأي العام بقوة حالياً، ما أفرزته الحركة الغوغائية التي قامت بها عناصر اتجاه المؤتمر الوطني المعارض للمفاوضات المباشرة. والذي خلق احتقاناً لم ينفسه القرار المحمود للأخ الرئيس تشكيل لجنة تحقيق للتحقيق في الحادث الملعون.. فالأسئلة التي تدور بالأذهان تتجاوز نتائج أي تحقيق، وتتجاوز اعلان أسماء الذين ارتضوا لأنفسهم الانجرار الى التخريب على رفاق النضال والسلاح في لبنان وسورية وتونس..

القضية المطروحة بإلحاح وعلى وجه الخصوص؛ عن طبيعة التثقيف والتعبئة الذي يحشى بها رأس فرد ما عندما يُكلف بمهمة قمع أو تخريب تحرك سياسي تقوم بتنظيمه قوى المعارضة الوطنية والديمقراطية. وهم لضيف عريض من المستقلين والأحزاب والفصائل السياسية ذات باع مشهود ومعروف في النضال الفلسطيني المعاصر، قوى تستمد شرعيتها من تاريخها ومن دماء شهدائها ومعتقليها. سأستأسل كذلك عن المفردات التي يشحن بها هؤلاء الأفراد الى الدرجة التي تمكنهم من قذف قيادات معروفة جيداً ونعتهم بالعمالة وأكثر.. سأستأسل